The North African Journal of Scientific Publishing (NAJSP)
مجلة شمال إفريقيا للنشر العلمي (NAJSP)
E-ISSN: 2959-4820
Volume 3, Issue 4, 2025
Page No: 297-303
Website: https://najsp.com/index.php/home/index
SJIFactor 2024: 5.49 | 0.69 :2025 (AIF) معامل التأثير العربي | ISI 2024: 0.696

Beyond Systemic Reason: Al-Jahiz and the Marginalization of Non-Systemic Reason in Islamic Philosophy

Hanan Ahmed Habib Habib*
Specialization Philosophy, Faculty of Education, Al-Zaytouna University, Libya

ما وراء العقل النسقي: الجاحظ وتهميش العقل غير النسقي في الفلسفة الإسلامية

حنان أحمد حبيب حبيب*
التخصص الفلسفة، كلية التربية، جامعة الزيتونة، ليبيا

*Corresponding author: hananhabib200800@yahoo.com

Received: November 5, 2025	Accepted: December 14, 2025	Published: December 31, 2025

Copyright: © 2025 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Abstract:
This study addresses a central methodological problem in the writing of the history of Islamic philosophy, namely the restriction of philosophy to the model of systematic rationality grounded in abstraction, metaphysical construction, and comprehensive doctrinal systems. The article argues that this restrictive criterion has functioned not merely as a descriptive framework but as an exclusionary mechanism that marginalized alternative forms of rational inquiry active in the formative periods of Islamic thought. The research advances the hypothesis that the intellectual project of Al-Jahiz represents a paradigmatic case of non-systematic rationality: a mode of philosophical thinking that operates within language, lived experience, and social context, privileging critique, observation, and the deconstruction of assumptions over the construction of closed metaphysical systems. The marginalization of such a model, the study contends, does not result from a lack of philosophical depth but from the narrow definition of philosophy adopted by traditional historiography. Employing an analytical, critical, and synthetic methodology, the paper deconstructs dominant narratives of Islamic philosophy, critiques the criteria of inclusion and exclusion that shaped them, and highlights the epistemic and critical losses resulting from the neglect of non-systematic modes of reasoning. The study concludes that rewriting the history of Islamic philosophy requires not the mere addition of neglected figures, but a fundamental rethinking of philosophy itself as a historically situated and plural practice of rational inquiry. Such a perspective opens new research horizons for understanding Islamic intellectual heritage beyond the confines of systematic metaphysics.

Keywords: Islamic philosophy, systematic rationality, non-systematic rationality, Al-Jahiz, philosophy and language.

الملخص:
يُعَالِجُ هٰذَا البَحْثُ إِشْكَالِيَّةً مَنْهَجِيَّةً مَرْكزِيَّةً فِي كِتَابَةِ تَارِيخِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، تَتَمَثَّلُ فِي حَصْرِ مَفْهُومِ الفَلْسَفَةِ فِي نَمُوذَجِ «العَقْلِ النَّسَقِيِّ» القَائِمِ عَلَى التَّجْرِيدِ وَالبِنَاءِ المِيتَافِيزِيقِيِّ وَالتَّأْسِيسِ المَذْهَبِيِّ، وَجَعْلِهِ مِعْيَارًا حَصْرِيًّا لِلإِدْرَاجِ الفِلْسَفِيِّ وَالإِقْصَاءِ المَعْرِفِيِّ. وَيُبَيِّنُ البَحْثُ أَنَّ هٰذَا الحَصْرَ لَمْ يَكُنْ وَصْفًا حِيَادِيًّا لِمَسَارِ التَّطَوُّرِ الفِلْسَفِيِّ، بَلْ أَدَّى إِلَى تَهْمِيشِ أَنْمَاطٍ

أُخْرَى مِنَ التَّعَقُّلِ كَانَتْ فَاعِلَةً فِي التَّشَكُّلِ المُبَكِّرِ لِلْفِكْرِ الإِسْلَامِيِّ. وَيَنْطَلِقُ البَحْثُ مِنْ فَرْضِيَّةٍ مَفَادُهَا أَنَّ خِطَابَ الجاحظ يُمَثِّلُ نَمُوذَجًا أَصِيلًا لِمَا يُسَمِّيهِ البَحْثُ «العَقْلَ غَيْرَ النَّسَقِيِّ»، وَهُوَ نَمَطٌ مِنَ التَّفْكِيرِ الفِلْسَفِيِّ يَعْمَلُ مِنْ دَاخِلِ اللُّغَةِ وَالتَّجْرِبَةِ وَالسِّيَاقِ الاِجْتِمَاعِيِّ، وَيُؤَسِّسُ فِعْلَهُ العَقْلِيَّ عَلَى النَّقْدِ وَتَفْكِيكِ البَدَاهَاتِ، دُونَ أَنْ يَنْتَظِمَ فِي نَسَقٍ مِيتَافِيزِيقِيٍّ مُغْلَقٍ. وَيُظْهِرُ التَّحْلِيلُ أَنَّ تَهْمِيشَ هٰذَا النَّمُوذَجِ لَمْ يَنْبَعْ مِنْ فَقْرٍ فِلْسَفِيٍّ، بَلْ مِنْ ضِيقِ المِعْيَارِ الَّذِي عُرِّفَتْ بِهِ الفَلْسَفَةُ فِي التَّدْوِينِ التَّقْلِيدِيِّ. وَبِاعْتِمَادِ مَنْهَجٍ تَحْلِيلِيٍّ نَقْدِيٍّ تَرْكِيبِيٍّ، يَعْمَلُ البَحْثُ عَلَى تَفْكِيكِ سَرْدِيَّةِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَنَقْدِ مَعَايِيرِ الإِدْرَاجِ وَالإِقْصَاءِ، وَإِبْرَازِ الخَسَائِرِ المَعْرِفِيَّةِ وَالنَّقْدِيَّةِ الَّتِي تَرَتَّبَتْ عَلَى تَهْمِيشِ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ. وَيَخْلُصُ إِلَى أَنَّ إِعَادَةَ كِتَابَةِ تَارِيخِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ لَا تَتَحَقَّقُ بِإِضَافَةِ أَسْمَاءٍ جَدِيدَةٍ فَقَطْ، بَلْ بِتَغْيِيرِ المَنْظُورِ المَنْهَجِيِّ، وَبِفَهْمِ الفَلْسَفَةِ بِوَصْفِهَا مُمَارَسَةً عَقْلِيَّةً تَارِيخِيَّةً مُتَعَدِّدَةَ الأَشْكَالِ، مِمَّا يَفْتَحُ أُفُقًا بَحْثِيًّا جَدِيدًا لِدِرَاسَةِ التُّرَاثِ الفِلْسَفِيِّ الإِسْلَامِيِّ.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة الإسلامية، العقل النسقي، العقل غير النسقي، الجاحظ، كتابة تاريخ الفلسفة.

مقدمة:

يَنْطَلِقُ هٰذَا البَحْثُ مِنْ إِشْكَالِيَّةٍ مَنْهَجِيَّةٍ عَمِيقَةٍ تَتَعَلَّقُ بِكَيْفِيَّةِ تَشَكُّلِ مَفْهُومِ «الفَلْسَفَةِ» فِي السَّرْدِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ لِلتُّرَاثِ الإِسْلَامِيِّ، وَبِالمَعَايِيرِ الَّتِي حَكَمَتْ إِدْرَاجَ بَعْضِ أَنْمَاطِ التَّفْكِيرِ ضِمْنَ هٰذِهِ السَّرْدِيَّةِ، وَإِقْصَاءَ أَنْمَاطٍ أُخْرَى، لَا لِفَقْرٍ مَعْرِفِيٍّ فِيهَا، بَلْ لِعَدَمِ انْتِظَامِهَا فِي القَوَالِبِ النَّسَقِيَّةِ الَّتِي جَرَى اعْتِمَادُهَا مِعْيَارًا حَصْرِيًّا لِلتَّفَلْسُفِ.

وَيُفَارِقُ هٰذَا البَحْثُ التَّنَاوُلَ التَّأْرِيخِيَّ الوَصْفِيَّ الَّذِي يَكْتَفِي بِجَرْدِ الأَسْمَاءِ وَتَصْنِيفِهَا، لِيَنْخَرِطَ فِي نَقْدِ المِعْيَارِ نَفْسِهِ، وَفِي تَفْكِيكِ فِكْرَةِ «العَقْلِ النَّسَقِيِّ» الَّتِي تَكَرَّسَتْ فِي كِتَابَاتِ تَارِيخِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، حَيْثُ تَمَّ رَبْطُ الفَلْسَفَةِ بِالتَّجْرِيدِ المِيتَافِيزِيقِيِّ، وَالبِنَاءِ المَنْطِقِيِّ الصُّورِيِّ، وَإِنْتَاجِ المَذَاهِبِ المُغْلَقَةِ، عَلَى حِسَابِ أَشْكَالٍ أُخْرَى مِنَ التَّعَقُّلِ الَّتِي تَعْمَلُ دَاخِلَ اللُّغَةِ وَالتَّجْرِبَةِ وَالسِّيَاقِ الاِجْتِمَاعِيِّ.

وَفِي هٰذَا الإِطَارِ، يَتَّخِذُ البَحْثُ مِنْ خِطَابِ الجاحظ نُقْطَةً كَاشِفَةً لِمَا يُسَمِّيهِ «العَقْلَ غَيْرَ النَّسَقِيِّ»، لَا بِوَصْفِهِ حَالَةً اسْتِثْنَائِيَّةً، وَلَا مَوْضُوعًا لِلدِّفَاعِ، بَلْ بِاعْتِبَارِهِ نَمُوذَجًا دَالًّا عَلَى نَمَطٍ فِلْسَفِيٍّ مِنَ التَّفْكِيرِ جَرَى تَهْمِيشُهُ بِسَبَبِ ضِيقِ التَّصَوُّرِ الَّذِي حَصَرَ الفَلْسَفَةَ فِي النَّسَقِ، وَاسْتَبْعَدَ المُمَارَسَةَ النَّقْدِيَّةَ الَّتِي لَا تَنْتَظِمُ فِي مَذْهَبٍ مُغْلَقٍ.

وَيُجَادِلُ البَحْثُ أَنَّ مَا خَسِرَتْهُ الفَلْسَفَةُ الإِسْلَامِيَّةُ لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ غِيَابِ اسْمٍ أَوْ نَصٍّ مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ، بَلْ خَسَارَةَ أُفُقٍ كَامِلٍ مِنْ أُفُقِ التَّفْكِيرِ، يَقُومُ عَلَى النَّقْدِ وَالمُلاحَظَةِ وَتَحْلِيلِ السِّيَاقِ، وَيُسَاهِمُ فِي رَبْطِ العَقْلِ بِاللُّغَةِ وَالحَيَاةِ وَالتَّجْرِبَةِ. وَمِنْ هُنَا، لَا يَسْتَهْدِفُ هٰذَا البَحْثُ «إِدْخَالَ» الجَاحِظِ فِي الفَلْسَفَةِ، بَلْ يَسْتَهْدِفُ إِعَادَ النَّظَرِ فِي مَعْنَى الفَلْسَفَةِ ذَاتِهَا.

وَيَعْتَمِدُ البَحْثُ مَنْهَجًا تَحْلِيلِيًّا نَقْدِيًّا، يَقُومُ عَلَى تَفْكِيكِ مَعَايِيرِ الإِدْرَاجِ وَالإِقْصَاءِ فِي تَارِيخِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَعَلَى قِرَاءَةٍ فِلْسَفِيَّةٍ لِنُصُوصِ الجَاحِظِ تَكْشِفُ بِنْيَةَ التَّعَقُّلِ الَّتِي تَحْكُمُهَا، دُونَ فَرْضِ قَوَالِبَ نَسَقِيَّةٍ عَلَيْهَا. وَيَسْعَى، فِي ذٰلِكَ، إِلَى الإِسْهَامِ فِي إِعَادَةِ كِتَابَةِ تَارِيخِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ مِنْ مَنْظُورِ «مَا وَرَاءَ العَقْلِ النَّسَقِيِّ»، أَيْ مِنْ مَنْظُورِ تَعَدُّدِ أَنْمَاطِ العَقْلِ وَتَنَوُّعِ أَشْكَالِ التَّفْكِيرِ.

إِشْكَالِيَّةُ البَحْثِ:

تَنْبَثِقُ إِشْكَالِيَّةُ هٰذَا البَحْثِ مِنْ مَلَاحَظَةٍ مَنْهَجِيَّةٍ مَرْكَزِيَّةٍ، تَتَعَلَّقُ بِالكَيْفِيَّةِ الَّتِي تَشَكَّلَ بِهَا مَفْهُومُ «الفَلْسَفَةِ» فِي السَّرْدِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ لِتَارِيخِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، حَيْثُ جَرَى حَصْرُهَا فِي نَمُوذَجِ العَقْلِ النَّسَقِيِّ القَائِمِ عَلَى التَّجْرِيدِ وَالبِنَاءِ المِيتَافِيزِيقِيِّ وَالتَّأْسِيسِ المَذْهَبِيِّ الشَّامِلِ.

وَقَدْ تَرَتَّبَ عَلَى هٰذَا الحَصْرِ إِقْصَاءُ أَنْمَاطٍ أُخْرَى مِنَ التَّعَقُّلِ، لَا تَنْتَظِمُ فِي أَنْسَاقٍ مُغْلَقَةٍ، وَإِنْ كَانَتْ تُمَارِسُ فِعْلَ التَّفْكِيرِ وَالنَّقْدِ وَتَحْلِيلَ الوَاقِعِ بِعُمْقٍ وَفَاعِلِيَّةٍ. وَفِي هٰذَا السِّيَاقِ، يَبْرُزُ خِطَابُ الجَاحِظِ بُوصْفِهِ نَمُوذَجًا دَالًّا عَلَى نَمَطٍ مِنَ «العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ» الَّذِي جَرَى تَهْمِيشُهُ، لَا لِفَقْرٍ فِلْسَفِيٍّ فِيهِ، بَلْ لِضِيقِ المِعْيَارِ الَّذِي عُرِّفَتْ بِهِ الفَلْسَفَةُ.

وَمِنْ هُنَا، تَتَحَدَّدُ إِشْكَالِيَّةُ البَحْثِ فِي السُّؤَالِ الآتِي:

- إِلَى أَيِّ حَدٍّ أَدَّى حَصْرُ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي نَمُوذَجِ العَقْلِ النَّسَقِيِّ إِلَى تَهْمِيشِ أَنْمَاطٍ فِلْسَفِيَّةٍ بَدِيلَةٍ، وَمَا الَّذِي خَسِرَتْهُ الفَلْسَفَةُ الإِسْلَامِيَّةُ جَرَّاءَ هٰذَا الإِقْصَاءِ؟

أَهَمِّيَّةُ البَحْثِ:

تَتَجَلَّى أَهَمِّيَّةُ هٰذَا البَحْثِ فِي كَوْنِهِ:

1. يُسْهِمُ فِي إِعَادَةِ تَعْرِيفِ مَاهِيَّةِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ بُوصْفِهَا مُمَارَسَةً عَقْلِيَّةً تَارِيخِيَّةً، لَا مَجْمُوعَةَ أَنْسَاقٍ مَذْهَبِيَّةٍ فَقَطْ.
2. يُوَسِّعُ دَائِرَةَ مَفْهُومِ «الفَيْلَسُوفِ» خَارِجَ القَوَالِبِ اليُونَانِيَّةِ النَّسَقِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ.
3. يُعِيدُ الاِعْتِبَارَ لِخِطَابَاتٍ فِكْرِيَّةٍ أُقْصِيَتْ سَابِقًا مِنَ الحَقْلِ الفِلْسَفِيِّ.
4. يَفْتَحُ أُفُقًا جَدِيدًا لِدِرَاسَةِ أَعْلَامٍ مِثْلَ: الجَاحِظِ، وَالتَّوْحِيدِيِّ، وَابْنِ المُقَفَّعِ، بُوصْفِهِم فَاعِلِينَ فِلْسَفِيِّينَ، لَا أُدَبَاءَ فَقَطْ.
5. يُسَاهِمُ فِي تَجْدِيدِ النِّقَاشَاتِ المُعَاصِرَةِ حَوْلَ تَعَدُّدِ العَقْلَانِيَّاتِ وَفَلْسَفَةِ اللُّغَةِ وَكِتَابَةِ التَّارِيخِ الفِلْسَفِيِّ.

فَرَضِيَّاتُ البَحْثِ:

يَنْطَلِقُ البَحْثُ مِنَ الفَرَضِيَّاتِ الآتِيَةِ:

1. إِنَّ تَهْمِيشَ خِطَابِ الجَاحِظِ لَمْ يَكُنْ نَاتِجًا عَنْ فَقْرٍ فِلْسَفِيٍّ، بَلْ عَنْ ضِيقِ مِعْيَارِ الفَلْسَفَةِ المُعْتَمَدِ.
2. إِنَّ العَقْلَ غَيْرَ النَّسَقِيِّ يُمَثِّلُ نَمَطًا فِلْسَفِيًّا أَصِيلًا، لَا مَرْحَلَةً نَاقِصَةً فِي سُلَّمِ التَّطَوُّرِ العَقْلِيِّ.
3. إِنَّ إِدْمَاجَ هٰذَا النَّمُوذَجِ يُؤَدِّي إِلَى تَجْدِيدِ فَهْمِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَتَارِيخِهَا.

تَسَاؤُلَاتُ البَحْث:

يَسْعَى البَحْثُ إِلَى الإِجَابَةِ عَنِ التَّسَاؤُلَاتِ الآتِيَة:

1. مَا مَعَايِيرُ الفَلْسَفَةِ الَّتِي حَكَمَتْ تَدْوِينَ تَارِيخِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ؟
2. كَيْفَ تَشَكَّلَ نَمُوذَجُ العَقْلِ النَّسَقِيّ، وَمَا آثَارُهُ الإِقْصَائِيَّةُ؟
3. مَا مَعَالِمُ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيّ فِي خِطَابِ الجَاحِظِ؟
4. مَا الخَسَائِرُ المَعْرِفِيَّةُ وَالنَّقْدِيَّةُ النَّاتِجَةُ عَنْ تَهْمِيشِ هٰذَا النَّمُوذَجِ؟
5. كَيْفَ يُمْكِنُ إِعَادَةُ كِتَابَةِ تَارِيخِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ مِنْ مَنْظُورٍ تَعَدُّدِيّ؟

مَنْهَجِيَّةُ البَحْث

يَعْتَمِدُ البَحْثُ مَنْهَجًا تَحْلِيلِيًّا نَقْدِيًّا تَرْكِيبِيًّا، يَقُومُ عَلَى:

- تَحْلِيلِ مَفْهُومِ الفَلْسَفَةِ وَمَعَايِيرِهَا التَّقْلِيدِيَّةِ.
- نَقْدِ السَّرْدِيَّةِ الفِلْسَفِيَّةِ السَّائِدَةِ وَتَفْكِيكِ آلِيَّاتِ الإِدْرَاجِ وَالإِقْصَاءِ.
- قِرَاءَةٍ فِلْسَفِيَّةٍ لِنُصُوصِ الجَاحِظِ، تَرْكِيزًا عَلَى بِنْيَةِ التَّعَقُّلِ وَآلِيَّاتِ النَّقْدِ وَالتَّفْكِيرِ.
- مَقَارَنَةٍ ضِمْنِيَّةٍ بَيْنَ النَّمَاذِجِ النَّسَقِيَّةِ وَغَيْرِ النَّسَقِيَّةِ فِي التُّرَاثِ.

الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَة:

تَنَاوَلَتِ الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَةُ الجَاحِظَ وَالفَلْسَفَةَ الإِسْلَامِيَّةَ مِنْ مَنَاظِيرَ مُتَعَدِّدَةٍ، إِلَّا أَنَّهَا غَالِبًا مَا:

- رَكَّزَتْ عَلَى الجَاحِظِ بِوَصْفِهِ أَدِيبًا أَوْ بَلَاغِيًّا.
- أَوْ دَرَسَتْ الفَلْسَفَةَ الإِسْلَامِيَّةَ مِنْ زَاوِيَةٍ نَسَقِيَّةٍ تَأْرِيخِيَّةٍ تَقْلِيدِيَّةٍ.

- وَيَتَمَيَّزُ هٰذَا البَحْثُ عَنْ تِلْكَ الدِّرَاسَاتِ بِكَوْنِهِ يَنْقُلُ السُّؤَالَ إِلَى مُسْتَوَى نَقْدِ المِعْيَارِ، لَا مُجَرَّدِ تَحْلِيلِ النُّصُوص.

تَقْسِيمَاتُ البَحْث:

اِنْتَظَمَ البَحْثُ فِي خَمْسَةِ مَبَاحِثَ سَبَقَتْهَا مُقَدِّمَةٌ وَتَلَتْهَا خَاتِمَةٌ، وَذٰلِكَ عَلَى النَّحْوِ الآتِي:

- المُقَدِّمَة
- المَبْحَثُ الأَوَّل: العَقْلُ النَّسَقِيُّ وَمِعْيَارُ الفَلْسَفَة
- المَبْحَثُ الثَّانِي: الجَاحِظُ وَالعَقْلُ غَيْرُ النَّسَقِيّ
- المَبْحَثُ الثَّالِث: خَسَائِرُ تَهْمِيشِ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيّ
- المَبْحَثُ الرَّابِع: مَا وَرَاءَ العَقْلِ النَّسَقِيّ
- المَبْحَثُ الخَامِس: آفَاقُ الإِدْمَاجِ وَالتَّجْدِيد
- الخَاتِمَةُ وَالنَّتَائِجُ وَالتَّوْصِيَات

المَبْحَثُ الأَوَّل: تَشَكُّلُ سَرْدِيَّةِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَهَيْمَنَةُ العَقْلِ النَّسَقِيّ:

تَمْهِيدُ:

يَنْطَلِقُ هٰذَا المَبْحَثُ مِنْ مُسَلَّمَةٍ مَنْهَجِيَّةٍ أَسَاسِيَّةٍ، مُفَادُهَا أَنَّ تَارِيخَ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ لَمْ يُكْتَبْ كَمُجَرَّدِ تَجْمِيعٍ لِلنُّصُوصِ وَالأَعْلَامِ، بَلْ تَشَكَّلَ فِي ضَوْءِ مِعْيَارٍ مَعْرِفِيٍّ مُسْبَقٍ حَدَّدَ مَا يُعْتَبَرُ «فَلْسَفَةً» وَمَا يُوضَعُ خَارِجَ حُدُودِهَا. وَقَدِ اقْتَرَنَ هٰذَا المِعْيَارُ، فِي الغَالِبِ، بِنَمُوذَجِ العَقْلِ النَّسَقِيّ القَائِمِ عَلَى التَّجْرِيدِ وَالبِنَاءِ المِيتَافِيزِيقِيّ وَالتَّأْسِيسِ المَنْطِقِيّ الشَّامِل.

وَيَسْعَى هٰذَا المَبْحَثُ إِلَى تَتَبُّعِ كَيْفِيَّةِ تَشَكُّلِ هٰذِهِ السَّرْدِيَّةِ، وَبَيَانِ مَعَايِيرِ الإِدْرَاجِ وَالإِقْصَاءِ الَّتِي حَكَمَتْهَا، تَمْهِيدًا لِفَهْمِ الأَسَاسِ الَّذِي جَرَى عَلَى وَفْقِهِ تَهْمِيشُ أَنْمَاطٍ فِكْرِيَّةٍ لَا تَنْتَظِمُ فِي نُظُمٍ فِلْسَفِيَّةٍ مُغْلَقَة.

أَوَّلًا: مَعَايِيرُ إِدْرَاجِ الفَلْسَفَةِ وَإِقْصَائِهَا:

تَشَكَّلَ تَارِيخُ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، كَمَا تَجَلَّى فِي كُتُبِ التَّارِيخِ وَالتَّصْنِيفِ، عَلَى أَسَاسِ مَعَايِيرَ تُفَضِّلُ الخِطَابَ الَّذِي يَتَّسِمُ بِالبِنَاءِ النَّسَقِيّ وَالتَّأْسِيسِ المَنْطِقِيّ وَالتَّجْرِيدِ المِيتَافِيزِيقِيّ. وَقَدْ تَجَسَّدَ ذٰلِكَ فِي رَبْطِ الفَلْسَفَةِ بِمَا اصْطُلِحَ عَلَيْهِ «الفَلَاسِفَةُ» بِمَعْنَاهُمُ المَذْهَبِيّ، وَإِقْصَاءِ كُلِّ خِطَابٍ لَا يَنْتَظِمُ فِي نَسَقٍ مُكْتَمِلٍ (بدوي، 1984، ص 11–25).

وَيُفِيدُ التَّحْلِيلُ أَنَّ هٰذِهِ المَعَايِيرَ لَمْ تَكُنْ وَصْفِيَّةً بَرِيئَةً، بَلْ حَمَلَتْ فِي طَيَّاتِهَا تَصَوُّرًا مُحَدَّدًا لِلْعَقْلِ، جَعَلَ مِنَ القُدْرَةِ عَلَى التَّجْرِيدِ وَالتَّأْسِيسِ الشَّامِلِ شَرْطًا لِلْفِلْسَفِيَّةِ. وَبِهٰذَا المَعْنَى، لَمْ يَعُدِ السُّؤَالُ: هَلْ يَحْمِلُ النَّصُّ فِكْرًا فِلْسَفِيًّا؟ بَلْ: هَلْ يَنْتَظِمُ فِي نَسَقٍ يُمَاثِلُ النَّمُوذَجَ اليُونَانِيّ؟ (الجابري، 1986، ص 95–118).

ثَانِيًا: هَيْمَنَةُ النَّمُوذَجِ اليُونَانِيّ وَتَأْسِيسُ العَقْلِ النَّسَقِيّ:

أَدَّى الاِرْتِبَاطُ التَّارِيخِيُّ بَيْنَ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالمِيرَاثِ اليُونَانِيّ، خَاصَّةً الأَرِسْطِيّ، إِلَى تَرْسِيخِ تَصَوُّرٍ لِلْعَقْلِ يُقَدِّمُ النَّسَقَ بِوَصْفِهِ أَعْلَى مَرَاتِبِ التَّعَقُّلِ. وَقَدْ جَرَى تَحْوِيلُ هٰذَا التَّصَوُّرِ إِلَى مِعْيَارٍ تَأْرِيخِيّ، أُعِيدَ عَلَى أَسَاسِهِ تَرْتِيبُ النُّصُوصِ وَالأَعْلَامِ (العروي، 1996، ص 61–79).

وَفِي سِيَاقِ هٰذِهِ الهَيْمَنَةِ، أُعِيدَ تَشْكِيلُ تَارِيخِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ كَسَرْدِيَّةِ تَطَوُّرٍ خَطِّيّ، تَبْدَأُ بِالتَّرْجَمَةِ، ثُمَّ التَّلَقِّي، فَالتَّأْسِيسِ النَّسَقِيّ، وَتَنْتَهِي إِلَى الاِكْتِمَالِ أَوِ الأُفُولِ. وَهٰكَذَا، تَحَوَّلَ العَقْلُ النَّسَقِيُّ مِنْ خِيَارٍ فِلْسَفِيٍّ إِلَى مِعْيَارٍ إِقْصَائِيّ.

ثَالِثًا: الإِقْصَاءُ المَنْهَجِيُّ لِلْعُقُولِ غَيْرِ النَّسَقِيَّة:

أَفْضَى هٰذَا التَّمَثُّلُ الأُحَادِيُّ لِلْعَقْلِ إِلَى تَهْمِيشِ أَنْمَاطٍ فِكْرِيَّةٍ تَعْمَلُ فِي أُفُقٍ مُخْتَلِفٍ، قَائِمٍ عَلَى النَّقْدِ وَالمُلَاحَظَةِ وَتَحْلِيلِ اللُّغَةِ وَالسِّيَاقِ. فَلَمْ تُقْصَ هٰذِهِ الخِطَابَاتُ لِعَدَمِ عُمْقِهَا، بَلْ لِأَنَّهَا لَا تَسْتَجِيبُ لِمُتَطَلَّبَاتِ النَّسَقِ وَالتَّجْرِيدِ المِيتَافِيزِيقِيّ.

وَفِي هٰذَا السِّيَاقِ، يُفْهَمُ تَهْمِيشُ خِطَابِ الجاحظ، الَّذِي يَتَّسِمُ بِعَقْلٍ نَقْدِيٍّ تَدَاوُلِيٍّ، يَعْمَلُ مِنْ دَاخِلِ اللُّغَةِ وَالحَيَاةِ وَالتَّجْرِبَةِ، دُونَ أَنْ يُؤَسِّسَ نَسَقًا مِيتَافِيزِيقِيًّا مُغْلَقًا. وَبِذٰلِكَ، لَمْ يَكُنِ الإِقْصَاءُ حُكْمًا عَلَى القِيمَةِ، بَلْ نَتِيجَةً لِسُلْطَةِ المِعْيَارِ (طرابيشي، 1996، ص 49–67).

خُلَاصَةُ المَبْحَثِ الأَوَّلِ:

يَخْلُصُ هٰذَا المَبْحَثُ إِلَى أَنَّ تَشَكُّلَ سَرْدِيَّةِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ كَانَ مَرْهُونًا بِهَيْمَنَةِ نَمُوذَجِ العَقْلِ النَّسَقِيِّ، الَّذِي تَحَوَّلَ مِنْ خِيَارٍ فَلْسَفِيٍّ إِلَى مِعْيَارٍ تَأْرِيخِيٍّ إِقْصَائِيٍّ. وَهٰذَا مَا يُمَهِّدُ مَنْهَجِيًّا لِلِانْتِقَالِ إِلَى المَبْحَثِ الثَّانِي، الَّذِي يَتَنَاوَلُ نَمُوذَجَ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ فِي خِطَابِ الجَاحِظِ بُوصْفِهِ بَدِيلًا فَلْسَفِيًّا مُمْكِنًا.

المَبْحَثُ الثَّانِي: الجَاحِظُ وَالعَقْلُ غَيْرُ النَّسَقِيِّ: الفَلْسَفَةُ كَمُمَارَسَةٍ نَقْدِيَّةٍ:

تَمْهِيدُ:

إِذَا كَانَ المَبْحَثُ الأَوَّلُ قَدْ كَشَفَ عَنْ كَيْفِيَّةِ تَشَكُّلِ «العَقْلِ النَّسَقِيِّ» كَمِعْيَارٍ إِقْصَائِيٍّ حَكَمَ تَدْوِينَ تَارِيخِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، فَإِنَّ هٰذَا المَبْحَثَ يَنْتَقِلُ إِلَى دِرَاسَةِ نَمُوذَجٍ فَلْسَفِيٍّ بَدِيلٍ، يَتَجَسَّدُ فِي خِطَابِ الجَاحِظِ، وَيُمَثِّلُ مَا يُمْكِنُ تَسْمِيَتَهُ «العَقْلَ غَيْرَ النَّسَقِيِّ».

وَلَا يَتَّجِهُ هٰذَا التَّنَاوُلُ إِلَى إِثْبَاتِ أَنَّ الجَاحِظَ «فَيْلَسُوفٌ» بِالمَعْنَى التَّقْلِيدِيِّ، بَلْ إِلَى تَفْكِيكِ مِعْيَارِ الفَلْسَفَةِ نَفْسِهِ، وَإِلَى إِظْهَارِ أَنَّ خِطَابَ الجَاحِظِ يُجَسِّدُ نَمَطًا فَلْسَفِيًّا مِنَ التَّفْكِيرِ، يَعْمَلُ فِي أُفُقِ المُلَاحَظَةِ وَالتَّجْرِبَةِ وَالنَّقْدِ، دُونَ أَنْ يَنْتَظِمَ فِي نَسَقٍ مِيتَافِيزِيقِيٍّ مُغْلَقٍ.

أَوَّلًا: العَقْلُ كَفِعْلِ تَفْكِيرٍ لَا كَبِنْيَةٍ صُورِيَّةٍ:

يَتَجَلَّى العَقْلُ فِي خِطَابِ الجَاحِظِ لَا بِوَصْفِهِ بِنْيَةً نَظَرِيَّةً مُجَرَّدَةً تُؤَسَّسُ عَلَى مَبَادِئَ كُلِّيَّةٍ سَابِقَةٍ، بَلْ بِوَصْفِهِ فِعْلًا تَفْكِيرِيًّا مُتَحَرِّكًا يَتَحَقَّقُ فِي المُلَاحَظَةِ، وَالمُقَارَنَةِ، وَاخْتِبَارِ الآرَاءِ، وَتَعَرِّيَةِ الأَوْهَامِ. فَالعَقْلُ، فِي هٰذَا السِّيَاقِ، لَا يُقَاسُ بِمَا يُؤَسِّسُهُ مِنْ أَنْسَاقٍ، بَلْ بِمَا يُنْتِجُهُ مِنْ وَعْيٍ نَقْدِيٍّ وَقُدْرَةٍ عَلَى التَّمْيِيزِ (عباس، 1998، ص 133–150).

وَيَنْعَكِسُ هٰذَا التَّصَوُّرُ فِي أُسْلُوبِ الجَاحِظِ القَائِمِ عَلَى تَعْدِيدِ الزَّوَايَا وَعَرْضِ الآرَاءِ المُتَبَايِنَةِ دُونَ حَسْمٍ نَهَائِيٍّ، وَهُوَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ العَقْلَ غَيْرَ النَّسَقِيِّ لَا يَسْعَى إِلَى إِغْلَاقِ السُّؤَالِ، بَلْ إِلَى إِبْقَائِهِ فِي حَالَةِ تَوَتُّرٍ مَعْرِفِيٍّ مُنْتِجٍ (العروي، 1996، ص 61–72).

ثَانِيًا: اللُّغَةُ بُوصْفِهَا فِضَاءَ التَّفَلْسُفِ:

تَحْتَلُّ اللُّغَةُ مَوْقِعًا مَرْكَزِيًّا فِي خِطَابِ الجَاحِظِ، لَا بِاعْتِبَارِهَا أَدَاةَ تَعْبِيرٍ فَقَطْ، بَلْ بِوَصْفِهَا فِضَاءً لِإِنْتَاجِ المَعْنَى وَمِجَالًا لِمُمَارَسَةِ التَّفْكِيرِ. فَالفِكْرُ لَا يَسْبِقُ اللُّغَةَ وَلَا يَقِفُ خَارِجَهَا، بَلْ يَتَشَكَّلُ دَاخِلَهَا، وَيَتَحَقَّقُ مِنْ خِلَالِهَا (الجاحظ، 1998، ص 72–90).

وَيُظْهِرُ هٰذَا الِارْتِبَاطُ أَنَّ الفَلْسَفَةَ، فِي نَمُوذَجِ الجَاحِظِ، لَيْسَتْ نَشَاطًا تَجْرِيدِيًّا مَعْزُولًا، بَلْ مُمَارَسَةً ثَقَافِيَّةً وَتَوَاصُلِيَّةً، تَتَغَذَّى مِنَ الجِدَالِ وَالإِقْنَاعِ وَتَفْكِيكِ الأَلْفَاظِ وَالمَعَانِي، وَهُوَ مَا يُمَثِّلُ خُرُوجًا صَرِيحًا عَنِ النَّمُوذَجِ الَّذِي حَصَرَ الفَلْسَفَةَ فِي البِنَاءِ المَنْطِقِيِّ الصُّورِيِّ (الجابري، 2006، ص 48–55).

ثَالِثًا: التَّجْرِبَةُ وَالسِّيَاقُ ضِدَّ التَّجْرِيدِ المُطْلَقِ:

يَقُومُ خِطَابُ الجَاحِظِ عَلَى رَبْطِ العَقْلِ بِالتَّجْرِبَةِ وَالوَاقِعِ، فَلَا يَنْفَصِلُ التَّفْكِيرُ عَنِ المُعَايَنَةِ وَمُرَاقَبَةِ السُّلُوكِ الإِنْسَانِيِّ وَتَحْلِيلِ الظَّوَاهِرِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ. وَفِي هٰذَا السِّيَاقِ، لَا تُطْرَحُ الأَفْكَارُ بِوَصْفِهَا حَقَائِقَ مُطْلَقَةً، بَلْ بِاعْتِبَارِهَا فُرُوضًا قَابِلَةً لِلتَّجْرِبَةِ وَالنَّقْدِ (الجاحظ، 1998، ص 35–42).

وَيَتَضَحُ مِنْ ذٰلِكَ أَنَّ العَقْلَ غَيْرَ النَّسَقِيِّ يَسْتَمِدُّ قُوَّتَهُ مِنْ قُرْبِهِ مِنَ الحَيَاةِ، وَمِنْ قُدْرَتِهِ عَلَى تَحْلِيلِ التَّعَقِيدِ الإِنْسَانِيِّ، وَهُوَ مَا جَعَلَ خِطَابَ الجَاحِظِ أَكْثَرَ حَيَوِيَّةً وَأَقَلَّ قَابِلِيَّةً لِلِانْدِرَاجِ فِي نُسُقٍ مُغْلَقٍ.

خُلَاصَةُ المَبْحَثِ:

يَنْتَهِي هٰذَا المَبْحَثُ إِلَى أَنَّ خِطَابَ الجَاحِظِ يُجَسِّدُ نَمُوذَجًا فَلْسَفِيًّا أَصِيلًا لِمَا يُسَمَّى «العَقْلَ غَيْرَ النَّسَقِيِّ»، وَهُوَ عَقْلٌ لَا يُؤَسِّسُ نِظَامًا مِيتَافِيزِيقِيًّا شَامِلًا، وَلٰكِنَّهُ يُمَارِسُ فِعْلَ التَّفْكِيرِ وَالنَّقْدِ دَاخِلَ اللُّغَةِ وَالتَّجْرِبَةِ وَالسِّيَاقِ الِاجْتِمَاعِيِّ. وَبِذٰلِكَ، يَتَبَيَّنُ أَنَّ تَهْمِيشَ هٰذَا النَّمُوذَجِ لَمْ يَكُنْ نَاتِجًا عَنْ فَقْرٍ فَلْسَفِيٍّ، بَلْ عَنْ ضِيقِ المِعْيَارِ الَّذِي حَكَمَ مَعْنَى الفَلْسَفَةِ فِي السَّرْدِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ، وَهُوَ مَا يُمَهِّدُ لِلِانْتِقَالِ إِلَى دِرَاسَةِ خَسَائِرِ هٰذَا الإِقْصَاءِ فِي المَبْحَثِ الثَّالِثِ.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: خَسَائِرُ تَهْمِيشِ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ فِي الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ:

تَمْهِيدُ:

إِذَا كَانَ المَبْحَثُ السَّابِقُ قَدْ بَيَّنَ أَنَّ خِطَابَ الجَاحِظِ يُجَسِّدُ نَمُوذَجًا فَلْسَفِيًّا أَصِيلًا لِعَقْلٍ غَيْرِ نَسَقِيٍّ، فَإِنَّ هٰذَا المَبْحَثَ يَنْتَقِلُ إِلَى تَحْلِيلِ مَا تَرَتَّبَ عَلَى إِقْصَاءِ هٰذَا النَّمُوذَجِ مِنْ خَسَائِرَ مَعْرِفِيَّةٍ وَنَقْدِيَّةٍ وَثَقَافِيَّةٍ، لَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى شَخْصٍ أَوْ نَصٍّ، بَلْ أَصَابَتْ بِنْيَةَ التَّفْكِيرِ الفَلْسَفِيِّ ذَاتِهَا.

وَيَنْطَلِقُ هٰذَا التَّحْلِيلُ مِنْ فَرْضِيَّةٍ مَفَادُهَا أَنَّ إِقْصَاءَ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ لَمْ يَكُنْ إِجْرَاءً تَصْنِيفِيًّا بَرِيئًا، بَلْ أَدَّى إِلَى تَضْيِيقِ أُفُقِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَإِلَى فَقْدَانِهَا قُدْرَةً مُهِمَّةً عَلَى النَّقْدِ وَالتَّجْدِيدِ وَالتَّفَاعُلِ مَعَ الوَاقِعِ.

أَوَّلًا: خَسَارَةُ تَعَدُّدِ العَقْلَانِيَّاتِ:

أَدَّى حَصْرُ الفَلْسَفَةِ فِي نَمُوذَجِ العَقْلِ النَّسَقِيِّ إِلَى إِفْقَارِ مَفْهُومِ العَقْلِ ذَاتِهِ، إِذْ جَرَى تَعْرِيفُهُ بِاعْتِبَارِهِ قُدْرَةً عَلَى التَّجْرِيدِ وَالتَّأْسِيسِ الشَّامِلِ فَقَطْ، وَتَمَّ إِهْمَالُ أَشْكَالٍ أُخْرَى مِنَ التَّعَقُّلِ تَعْمَلُ فِي أُفُقِ السُّؤَالِ وَالنَّقْدِ وَالمُلَاحَظَةِ (العروي، 1996، ص 61–79).

وَقَدْ تَرَتَّبَ عَلَى ذٰلِكَ إِقْصَاءُ مَا يُمْكِنُ تَسْمِيَتُهُ «تَعَدُّدَ العَقْلَانِيَّاتِ»، أَيِ الِاعْتِرَافَ بِأَنَّ العَقْلَ لَيْسَ جَوْهَرًا وَاحِدًا ثَابِتًا، بَلْ مُمَارَسَةً تَارِيخِيَّةً تَتَشَكَّلُ وَفْقَ السِّيَاقَاتِ الثَّقَافِيَّةِ وَالمَعْرِفِيَّةِ. وَبِغِيَابِ هٰذَا التَّعَدُّدِ، تَحَوَّلَ العَقْلُ إِلَى نَمُوذَجٍ مُغْلَقٍ يُعِيدُ إِنْتَاجَ نَفْسِهِ دُونَ قُدْرَةٍ حَقِيقِيَّةٍ عَلَى التَّجَاوُزِ أَوِ النَّقْدِ (الجابري، 1986، ص 118–135).

ثَانِيًا: خَسَارَةُ البُعْدِ النَّقْدِيِّ لِلفَلْسَفَةِ:

يُفْضِي إِقْصَاءُ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ إِلَى تَضْيِيقِ الدَّوْرِ النَّقْدِيِّ لِلفَلْسَفَةِ، إِذْ يَمِيلُ العَقْلُ النَّسَقِيُّ، بِحُكْمِ طَبِيعَتِهِ، إِلَى إِغْلَاقِ الأَسْئِلَةِ بَدَلَ إِبْقَائِهَا فِي حَالَةِ تَوَتُّرٍ مَعْرِفِيٍّ. فَالنَّسَقُ يَسْعَى إِلَى الِاكْتِمَالِ وَالِاسْتِقْرَارِ، بَيْنَمَا يَعْمَلُ العَقْلُ غَيْرُ النَّسَقِيِّ عَلَى زَعْزَعَةِ المُسَلَّمَاتِ وَتَعْرِيَةِ الأَوْهَامِ (طرابيشي، 1996، ص 49–67).

وَبِغِيَابِ هٰذَا النَّمُوذَجِ النَّقْدِيِّ، تَفْقِدُ الفَلْسَفَةُ جُزْءًا أَسَاسِيًّا مِنْ وَظِيفَتِهَا، لَا بِوَصْفِهَا بِنَاءً نَظَرِيًّا فَقَطْ، بَلْ بِوَصْفِهَا مُمَارَسَةً لِلمُسَاءَلَةِ وَالتَّفْكِيكِ. وَهُنَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ خِطَابَ الجَاحِظِ كَانَ يُمَثِّلُ قُوَّةً نَقْدِيَّةً فَاعِلَةً، لَوْ أُدْمِجَتْ فِي السَّرْدِيَّةِ الفِلْسَفِيَّةِ، لَأَثْرَتْهَا وَوَسَّعَتْ أُفُقَهَا (عباس، 1998، ص 145–158).

ثَالِثًا: خَسَارَةُ الِارْتِبَاطِ بِاللُّغَةِ وَالحَيَاةِ:

يُؤَدِّي تَهْمِيشُ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ إِلَى فَصْلِ الفَلْسَفَةِ عَنِ اللُّغَةِ وَالحَيَاةِ، إِذْ يَمِيلُ النَّمُوذَجُ النَّسَقِيُّ إِلَى التَّعَامُلِ مَعَ اللُّغَةِ بِاعْتِبَارِهَا وَسِيطًا مَحَايِدًا، لَا فِضَاءً لِإِنْتَاجِ المَعْنَى، فِي حِينَ يُظْهِرُ العَقْلُ غَيْرُ النَّسَقِيِّ أَنَّ التَّفْكِيرَ يَتَشَكَّلُ دَاخِلَ اللُّغَةِ وَيَتَغَذَّى مِنْ تَعَقِيدَاتِهَا وَسِيَاقَاتِهَا (الجاحظ، 1998، ص 72–95).

وَقَدْ أَفْضَى هٰذَا الفَصْلُ إِلَى جَعْلِ الفَلْسَفَةِ أَكْثَرَ تَجْرِيدًا وَأَقَلَّ قُدْرَةً عَلَى فَهْمِ التَّجْرِبَةِ الإِنْسَانِيَّةِ فِي تَعَقِيدِهَا وَتَنَوُّعِهَا، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدَتْ جُزْءًا مِنْ حَيَوِيَّتِهَا الثَّقَافِيَّةِ وَوَظِيفَتِهَا التَّفْسِيرِيَّةِ.

خُلَاصَةُ المَبْحَثِ:

يَنْتَهِي هٰذَا المَبْحَثُ إِلَى أَنَّ تَهْمِيشَ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ لَمْ يَكُنْ خَسَارَةً جَانِبِيَّةً فِي تَارِيخِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، بَلْ خَسَارَةً بِنْيَوِيَّةً مَسَّتْ مَفْهُومَ العَقْلِ، وَالدَّوْرَ النَّقْدِيَّ لِلفَلْسَفَةِ، وَعَلَاقَتَهَا بِاللُّغَةِ وَالحَيَاةِ. وَيُمَهِّدُ هٰذَا التَّشْخِيصُ لِلِانْتِقَالِ إِلَى المَبْحَثِ الرَّابِعِ، الَّذِي يَسْعَى إِلَى بَيَانِ إِمْكَانَاتِ تَجَاوُزِ هٰذِهِ الخَسَائِرِ مِنْ خِلَالِ إِعَادَةِ تَعْرِيفِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ مِنْ مَنْظُورٍ غَيْرِ نَسَقِيٍّ.

المَبْحَثُ الرَّابِعُ: مَا وَرَاءَ العَقْلِ النَّسَقِيِّ: نَحْوَ إِعَادَةِ كِتَابَةِ تَارِيخِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ:

تَمْهِيدُ:

بَعْدَ أَنْ كَشَفَ المَبْحَثُ الثَّالِثُ عَنِ الخَسَائِرِ البِنْيَوِيَّةِ الَّتِي تَرَتَّبَتْ عَلَى تَهْمِيشِ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ، يَنْتَقِلُ هٰذَا المَبْحَثُ إِلَى سُؤَالٍ بِنَائِيٍّ جَوْهَرِيٍّ: كَيْفَ يُمْكِنُ تَجَاوُزُ هٰذِهِ الخَسَائِرِ؟ وَهَلْ يَكْمُنُ الحَلُّ فِي إِضَافَةِ أَسْمَاءٍ جَدِيدَةٍ إِلَى لَوَائِحِ «الفَلَاسِفَةِ»، أَمْ فِي إِعَادَةِ النَّظَرِ فِي مَعْنَى الفَلْسَفَةِ ذَاتِهَا وَمَعَايِيرِ تَدْوِينِ تَارِيخِهَا؟

وَيَنْطَلِقُ هٰذَا المَبْحَثُ مِنْ فَرْضِيَّةٍ مَفَادُهَا أَنَّ تَجَاوُزَ العَقْلِ النَّسَقِيِّ لَا يَتَحَقَّقُ بِإِقْصَائِهِ، بَلْ بِرَفْعِهِ عَنْ مَوْقِعِهِ الِاحْتِكَارِيِّ، وَبِفَتْحِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ عَلَى تَعَدُّدِ أَنْمَاطِ التَّعَقُّلِ، بِاعْتِبَارِهَا مُمَارَسَاتٍ تَارِيخِيَّةً لِلتَّفْكِيرِ، لَا أَنْسَاقًا مَغْلَقَةً فَقَطْ.

أَوَّلًا: الفَلْسَفَةُ كَنَمَطِ تَفْكِيرٍ لَا كَمَذْهَبٍ مُغْلَقٍ:

يَتَطَلَّبُ تَجَاوُزُ العَقْلِ النَّسَقِيِّ إِعَادَ تَعْرِيفِ الفَلْسَفَةِ نَفْسِهَا، لَا بِاعْتِبَارِهَا جُمْلَةً مِنَ المَذَاهِبِ وَالأَنْسَاقِ، بَلْ بِوَصْفِهَا نَمَطًا مِنَ التَّفْكِيرِ يَتَحَقَّقُ فِي السُّؤَالِ وَالنَّقْدِ وَتَفْكِيكِ البَدَاهَاتِ. فَالفَلْسَفَةُ، فِي هٰذَا الأُفُقِ، لَا تُقَاسُ بِمَا تُنْتِجُهُ مِنْ أَنْسَاقٍ مُكْتَمِلَةٍ، بَلْ بِمَا تُفَعِّلُهُ مِنْ قُدْرَةٍ عَلَى التَّسَاؤُلِ وَإِعَادَةِ النَّظَرِ (بدوي، 1984، ص 19–31).

وَيُفْضِي هٰذَا التَّصَوُّرُ إِلَى تَحْوِيلِ سُؤَالِ التَّصْنِيفِ التَّقْلِيدِيِّ (فَيْلَسُوف/أَدِيب/مُتَكَلِّم) إِلَى سُؤَالٍ أَعْمَقَ يَتَعَلَّقُ بِطَرِيقَةِ التَّفْكِيرِ نَفْسِهَا: كَيْفَ يَفْكُرُ هٰذَا النَّصُّ؟ وَمَا نَوْعُ العَقْلِ الَّذِي يُمَارِسُهُ؟ وَبِذٰلِكَ تُصْبِحُ الفَلْسَفَةُ حَقْلًا مَفْتُوحًا لِتَعَدُّدِ المُمَارَسَاتِ، لَا سُلَّمًا هِيرَارْكِيًّا لِلإِقْصَاءِ (الجابري، 2006، ص 33–47).

ثَانِيًا: إِعَادَةُ الِاعْتِبَارِ لِلعَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ:

يُفْضِي هٰذَا التَّحَوُّلُ المَنْهَجِيُّ إِلَى إِعَادَةِ الِاعْتِبَارِ لِلْعَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ بِوَصْفِهِ أُفُقًا فَلْسَفِيًّا مَشْرُوعًا، لَا مَرْحَلَةً نَاقِصَةً فِي طَرِيقِ التَّكَوُّنِ النَّسَقِيِّ. فَهٰذَا العَقْلُ لَا يَعْمَلُ عَلَى بِنَاءِ نِظَامٍ مِيتَافِيزِيقِيٍّ مُغْلَقٍ، بَلْ عَلَى تَفْكِيكِ المَفَاهِيمِ، وَاخْتِبَارِ الآرَاءِ، وَتَحْلِيلِ السِّيَاقَاتِ الَّتِي تُنْتِجُ المَعْنَى (العروي، 1996، ص 61–79).

وَيَتَجَسَّدُ هٰذَا النَّمُوذَجُ بِوُضُوحٍ فِي خِطَابِ الجاحظ، الَّذِي يُمَارِسُ التَّفْكِيرَ مِنْ دَاخِلِ اللُّغَةِ وَالحَيَاةِ وَالتَّجْرِبَةِ، وَيَجْعَلُ مِنَ النَّقْدِ وَالمُلَاحَظَةِ أَدَاتَيْنِ أَسَاسِيَّتَيْنِ لِإِنْتَاجِ المَعْرِفَةِ. وَمِنْ ثَمَّ، فَإِنَّ إِدْمَاجَ هٰذَا النَّمُوذَجِ لَا يَعْنِي تَوْسِيعَ قَائِمَةِ «الفَلَاسِفَةِ»، بَلْ تَغْيِيرَ المَنْظُورِ الَّذِي تُقْرَأُ مِنْ خِلَالِهِ الفَلْسَفَةُ الإِسْلَامِيَّةُ (عباس، 1998، ص 133–158).

ثَالِثًا: نَحْوَ تَارِيخٍ فَلْسَفِيٍّ تَعَدُّدِيٍّ:

يَقُودُ مَا سَبَقَ إِلَى ضَرُورَةِ إِعَادَةِ كِتَابَةِ تَارِيخِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ عَلَى أَسَاسٍ تَعَدُّدِيٍّ، يَعْتَرِفُ بِتَنَوُّعِ أَنْمَاطِ العُقُولِ وَاخْتِلَافِ أُفُقِ أَسْئِلَتِهَا. فَلَا يَعُودُ هٰذَا التَّارِيخُ حِكَايَةَ تَطَوُّرٍ خَطِّيٍّ يَنْتَهِي إِلَى النَّسَقِ، بَلْ خَرِيطَةً مُعَقَّدَةً لِمُمَارَسَاتٍ فَلْسَفِيَّةٍ مُتَزَامِنَةٍ وَمُتَدَاخِلَةٍ (طرابيشي، 1996، ص 67–85).

وَبِذٰلِكَ، يَتَحَوَّلُ تَارِيخُ الفَلْسَفَةِ مِنْ سَرْدِيَّةٍ إِقْصَائِيَّةٍ إِلَى مَجَالٍ نَقْدِيٍّ مَفْتُوحٍ، يُسَاهِمُ فِي تَجْدِيدِ الفَلْسَفَةِ نَفْسِهَا، وَفِي إِعَادَةِ تَفْعِيلِ وَظِيفَتِهَا النَّقْدِيَّةِ فِي الحَاضِرِ.

خُلَاصَةُ المَبْحَث:

يَنْتَهِي هٰذَا المَبْحَثُ إِلَى أَنَّ تَجَاوُزَ العَقْلِ النَّسَقِيِّ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِإِعَادَةِ تَعْرِيفِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ كَمُمَارَسَةٍ عَقْلِيَّةٍ تَارِيخِيَّةٍ مُتَعَدِّدَةِ الأَشْكَالِ. وَيُمَثِّلُ إِدْمَاجُ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ خُطْوَةً مَنْهَجِيَّةً أَسَاسِيَّةً لِتَحْرِيرِ التَّفْكِيرِ الفِلْسَفِيِّ مِنْ أُحَادِيَّةِ المِعْيَارِ، وَفَتْحِ أُفُقٍ جَدِيدٍ لِكِتَابَةِ تَارِيخٍ فِلْسَفِيٍّ أَكْثَرَ تَعَدُّدًا وَحَيَوِيَّةً، وَهُوَ مَا يُمَهِّدُ لِلِانْتِقَالِ إِلَى المَبْحَثِ الخَامِسِ.

المَبْحَثُ الخَامِس: آفَاقُ إِدْمَاجِ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ فِي الدِّرَاسَاتِ الفِلْسَفِيَّةِ المُعَاصِرَةِ:

تَمْهِيدُ:

بَعْدَ أَنْ سَعَتِ المَبَاحِثُ السَّابِقَةُ إِلَى تَشْخِيصِ مَسَارِ تَهْمِيشِ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ وَتَحْلِيلِ خَسَائِرِهِ المَعْرِفِيَّةِ وَالمَنْهَجِيَّةِ، يَنْتَقِلُ هٰذَا المَبْحَثُ إِلَى بَيَانِ الإِمْكَانَاتِ النَّظَرِيَّةِ وَالمَنْهَجِيَّةِ الَّتِي يَفْتَحُهَا إِدْمَاجُ هٰذَا النَّمُوذَجِ فِي الدِّرَاسَاتِ الفِلْسَفِيَّةِ المُعَاصِرَةِ. وَلَا يَنْحَصِرُ هٰذَا الإِدْمَاجُ فِي إِعَادَةِ قِرَاءَةِ التُّرَاثِ فَقَطْ، بَلْ يَتَعَدَّاهُ إِلَى تَجْدِيدِ أُفُقِ التَّفْكِيرِ الفِلْسَفِيِّ نَفْسِهِ، وَإِلَى إِعَادَةِ تَعْرِيفِ عِلَاقَتِهِ بِاللُّغَةِ وَالثَّقَافَةِ وَالوَاقِعِ.

أَوَّلًا: نَحْوَ فَلْسَفَةٍ تَعْتَرِفُ بِتَعَدُّدِ العُقُول:

يُفْضِي إِدْمَاجُ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ إِلَى تَحْرِيرِ الفَلْسَفَةِ مِنَ التَّصَوُّرِ الأُحَادِيِّ لِلْعَقْلِ، وَإِلَى الِاعْتِرَافِ بِأَنَّ العَقْلَ لَا يُمَثَّلُ جَوْهَرًا مُطْلَقًا وَمُتَعَالِيًا، بَلْ بِنْيَةً تَارِيخِيَّةً وَمُمَارَسَةً ثَقَافِيَّةً تَتَشَكَّلُ وَفْقَ السِّيَاقَاتِ الَّتِي تَعْمَلُ فِيهَا، وَفْقَ أُفُقِ الأَسْئِلَةِ الَّتِي تَنْبَثِقُ عَنْهَا (العروي، 1996، ص 61–79).

وَيُؤَدِّي هٰذَا الِاعْتِرَافُ إِلَى تَفْكِيكِ التَّرَاتُبِيَّةِ المِعْيَارِيَّةِ لِلْعُقُولِ، الَّتِي جَعَلَتْ مِنَ العَقْلِ النَّسَقِيِّ ذُرْوَةً نِهَائِيَّةً لِلتَّعَقُّلِ، وَمِنْ غَيْرِهِ مَرَاتِبَ نَاقِصَةً أَوْ تَمْهِيدِيَّةً. وَبِذٰلِكَ، تُصْبِحُ الفَلْسَفَةُ حَقْلًا لِتَفَاعُلِ عُقُولٍ مُتَعَدِّدَةٍ: عَقْلٍ بُرْهَانِيٍّ، وَعَقْلٍ بَيَانِيٍّ، وَعَقْلٍ نَقْدِيٍّ تَجْرِيبِيٍّ، دُونَ أَنْ يَدَّعِيَ أَحَدُهَا الِاحْتِكَارَ أَوِ الإِلْغَاءَ. وَيَفْتَحُ هٰذَا التَّصَوُّرُ أُفُقًا جَدِيدًا لِفَهْمِ التُّرَاثِ الإِسْلَامِيِّ بِوَصْفِهِ فِضَاءً تَعَايَشَتْ فِيهِ أَنْمَاطٌ مُتَعَدِّدَةٌ مِنَ التَّفْكِيرِ.

ثَانِيًا: تَحْوِيلُ دِرَاسَةِ التُّرَاثِ مِنَ التَّصْنِيفِ إِلَى التَّحْلِيل:

يَتَطَلَّبُ إِدْمَاجُ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ تَحَوُّلًا مَنْهَجِيًّا فِي دِرَاسَةِ التُّرَاثِ، يَنْقُلُهَا مِنْ مَنْطِقِ التَّصْنِيفِ المُسْبَقِ الَّذِي يَحْكُمُ النُّصُوصَ بِفِئَاتٍ جَاهِزَةٍ (فَيْلَسُوف/أَدِيب/مُتَكَلِّم)، إِلَى مَنْطِقِ التَّحْلِيلِ المَعْرِفِيِّ لِبِنْيَةِ التَّفْكِيرِ ذَاتِهَا (الجابري، 2006، ص 33–47). فَالسُّؤَالُ الأَسَاسِيُّ لَا يَعُودُ: إِلَى أَيِّ حَقْلٍ يَنْتَمِي النَّصُّ؟ بَلْ: كَيْفَ يُفَكِّرُ هٰذَا النَّصُّ؟ وَمَا نَوْعُ العَقْلِ الَّذِي يَشْتَغِلُ فِيهِ وَمِنْ خِلَالِهِ؟

وَيُمَكِّنُ هٰذَا التَّحَوُّلُ مِنْ قِرَاءَةِ نُصُوصٍ كَثِيرَةٍ قِرَاءَةً جَدِيدَةً، تُظْهِرُ مَا تَحْمِلُهُ مِنْ طَاقَةٍ فِلْسَفِيَّةٍ كَامِنَةٍ، وَتُخْرِجُهَا مِنْ عُزْلَةِ التَّخْصِيصِ الضَّيِّقِ. وَفِي هٰذَا السِّيَاقِ، يَغْدُو خِطَابُ الجاحظ نُقْطَةً مِرْجِعِيَّةً مَنْهَجِيَّةً لِقِرَاءَةِ نُصُوصٍ أُخْرَى شَبِيهَةٍ بِهِ فِي بِنْيَتِهَا التَّعَقُّلِيَّةِ، وَفِي طَرِيقَتِهَا فِي إِنْتَاجِ المَعْنَى.

ثَالِثًا: إِثْرَاءُ النِّقَاشَاتِ الفِلْسَفِيَّةِ المُعَاصِرَةِ:

لَا تَقْتَصِرُ آثَارُ إِدْمَاجِ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ عَلَى حَقْلِ دِرَاسَةِ التُّرَاثِ، بَلْ تَمْتَدُّ إِلَى النِّقَاشَاتِ الفِلْسَفِيَّةِ المُعَاصِرَةِ حَوْلَ تَعَدُّدِ العَقْلَانِيَّاتِ، وَعِلَاقَةِ الفَلْسَفَةِ بِالثَّقَافَةِ، وَدَوْرِ اللُّغَةِ فِي تَشْكِيلِ الوَعْيِ (طه عبد الرحمن، 2007، ص 15–28). فَنَمُوذَجُ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ يُقَدِّمُ إِمْكَانًا نَظَرِيًّا لِلْخُرُوجِ مِنْ هَيْمَنَةِ النَّمَاذِجِ المُغْلَقَةِ، وَلِإِعَادَةِ الِاعْتِبَارِ لِلفَلْسَفَةِ بِوَصْفِهَا نَشَاطًا نَقْدِيًّا حَيًّا.

وَبِذٰلِكَ، يُسَاهِمُ هٰذَا الإِدْمَاجُ فِي تَجْدِيدِ وَظِيفَةِ الفَلْسَفَةِ، لَا كَعِلْمٍ مُنْفَصِلٍ عَنِ الوَاقِعِ، بَلْ كَمُمَارَسَةٍ فِكْرِيَّةٍ تَتَغَذَّى مِنَ الِاخْتِلَافِ، وَتَسْتَمِدُّ حَيَوِيَّتَهَا مِنَ التَّنَوُّعِ وَالتَّعَدُّدِ.

خُلَاصَةُ المَبْحَث:

يَنْتَهِي هٰذَا المَبْحَثُ إِلَى أَنَّ إِدْمَاجَ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ يُمَثِّلُ خُطْوَةً مَنْهَجِيَّةً أَسَاسِيَّةً فِي تَجْدِيدِ دِرَاسَةِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَفِي تَفْعِيلِ بُعْدِهَا النَّقْدِيِّ. وَبِذٰلِكَ، لَا يَغْدُو الجاحظُ «اسْمًا مُسْتَرَدًّا» إِلَى قَائِمَةِ الفَلَاسِفَةِ، بَلْ مَدْخَلًا مَنْهَجِيًّا إِلَى إِعَادَةِ التَّفْكِيرِ فِي مَعْنَى الفَلْسَفَةِ ذَاتِهَا، وَفِي طُرُقِ كِتَابَةِ تَارِيخِهَا، عَلَى نَحْوٍ يُغْلِقُ الإِشْكَالِيَّةَ وَيَفْتَحُ فِي الآنِ نَفْسِهِ أُفُقًا بَحْثِيًّا جَدِيدًا.

الخَاتِمَة:

سَعَى هٰذَا البَحْثُ إِلَى تَفْكِيكِ إِشْكَالِيَّةٍ مَنْهَجِيَّةٍ مَرْكَزِيَّةٍ فِي كِتَابَةِ تَارِيخِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، تَتَمَثَّلُ فِي حَصْرِ مَعْنَى الفَلْسَفَةِ فِي نَمُوذَجِ «العَقْلِ النَّسَقِيِّ»، وَجَعْلِهِ مِعْيَارًا حَصْرِيًّا لِلإِدْرَاجِ وَالإِقْصَاءِ. وَلَمْ يَكُنْ هٰذَا الحَصْرُ إِجْرَاءً تَصْنِيفِيًّا بَرِيئًا، بَلْ تَرَتَّبَ عَلَيْهِ تَضْيِيقُ أُفُقِ التَّفْكِيرِ الفِلْسَفِيِّ، وَتَهْمِيشُ أَنْمَاطٍ أُخْرَى مِنَ التَّعَقُّلِ كَانَتْ فَاعِلَةً فِي التَّشَكُّلِ المُبَكِّرِ لِلْفِكْرِ الإِسْلَامِيِّ.

وَقَدْ أَظْهَرَ التَّحْلِيلُ أَنَّ تَهْمِيشَ خِطَابِ الجاحظ لَمْ يَكُنْ نَاتِجًا عَنْ غِيَابِ التَّفْكِيرِ الفِلْسَفِيِّ فِي أَعْمَالِهِ، بَلْ عَنْ ضِيقِ التَّصَوُّرِ الَّذِي عَرَّفَ الفَلْسَفَةَ بِاعْتِبَارِهَا بِنَاءً نَسَقِيًّا مُغْلَقًا، وَاسْتَبْعَدَ كُلَّ مَا يَعْمَلُ فِي أُفُقِ المُلَاحَظَةِ، وَالتَّجْرِبَةِ، وَالنَّقْدِ، وَتَحْلِيلِ السِّيَاقِ اللُّغَوِيِّ وَالِاجْتِمَاعِيِّ. وَبِذٰلِكَ، لَا يَغْدُو الجَاحِظُ «حَالَةً خَارِجَةً» عَنِ الفَلْسَفَةِ، بَلْ نُقْطَةً كَاشِفَةً لِمَحْدُودِيَّةِ مِعْيَارِهَا التَّقْلِيدِيِّ.

وَيُفْضِي هٰذَا الِاسْتِنْتَاجُ إِلَى نَقْلِ السُّؤَالِ مِنْ مُسْتَوَى الأَشْخَاصِ إِلَى مُسْتَوَى المَفَاهِيمِ: فَلَيْسَ السُّؤَالُ هَلْ كَانَ الجَاحِظُ فَيْلَسُوفًا بِالمَعْنَى التَّقْلِيدِيِّ، بَلْ مَا الَّذِي خَسِرَتْهُ الفَلْسَفَةُ الإِسْلَامِيَّةُ حِينَ حَصَرَتْ نَفْسَهَا فِي أُحَادِيَّةِ العَقْلِ النَّسَقِيِّ؟ وَقَدْ بَيَّنَ البَحْثُ أَنَّ هٰذِهِ الخَسَارَةَ لَمْ تَكُنْ جُزْئِيَّةً، بَلْ بِنْيَوِيَّةً، مَسَّتْ مَفْهُومَ العَقْلِ ذَاتِهِ، وَقَلَّصَتِ الدَّوْرَ النَّقْدِيَّ لِلفَلْسَفَةِ، وَأَضْعَفَتْ صِلَتَهَا بِاللُّغَةِ وَالحَيَاةِ وَالوَاقِعِ.

وَمِنْ هُنَا، يَقْتَرِحُ هٰذَا البَحْثُ أُفُقًا بَدِيلًا لِفَهْمِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، لَا بِاعْتِبَارِهَا مَجْمُوعَةَ أَنْسَاقٍ مَذْهَبِيَّةٍ، بَلْ بِوَصْفِهَا مُمَارَسَةً عَقْلِيَّةً تَارِيخِيَّةً مُتَعَدِّدَةَ الأَشْكَالِ، تَتَحَقَّقُ فِي السُّؤَالِ وَالنَّقْدِ وَتَفْكِيكِ البَدَاهَاتِ. وَيُعَدُّ إِدْمَاجُ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ خُطْوَةً مَنْهَجِيَّةً أَسَاسِيَّةً فِي هٰذَا السِّيَاقِ، لَا لِتَوْسِيعِ القَائِمَةِ، بَلْ لِتَغْيِيرِ المَنْظُورِ الَّذِي نَقْرَأُ مِنْ خِلَالِهِ التُّرَاثَ وَنُعِيدُ بِهِ تَفْعِيلَ قُدْرَتِهِ النَّقْدِيَّةَ فِي الحَاضِرِ.

وَبِذٰلِكَ، تُغْلِقُ هٰذِهِ الدِّرَاسَةُ إِشْكَالِيَّتَهَا عِنْدَ حَدِّ نَقْدِ مِعْيَارِ الفَلْسَفَةِ التَّقْلِيدِيِّ، لَكِنَّهَا تَفْتَحُ، فِي المُقَابِلِ، أُفُقًا بَحْثِيًّا جَدِيدًا يَدْعُو إِلَى إِعَادَةِ كِتَابَةِ تَارِيخِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ عَلَى أَسَاسٍ تَعَدُّدِيٍّ، يُنْصِفُ تَنَوُّعَ أَنْمَاطِ العُقُولِ، وَيُحَرِّرُ الفَلْسَفَةَ مِنْ أُحَادِيَّةِ النَّسَقِ، وَيُعِيدُ لَهَا دَوْرَهَا الأَصِيلَ كَفِعْلٍ نَقْدِيٍّ حَيٍّ، مُنْفَتِحٍ عَلَى الِاخْتِلَافِ وَالتَّجْرِبَةِ وَالحَيَاةِ.

النتائج:

1. تَكَرَّسَ مِعْيَارُ «العَقْلِ النَّسَقِيِّ» فِي السَّرْدِيَّةِ التَّقْلِيدِيَّةِ لِتَارِيخِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ بِوَصْفِهِ مِعْيَارًا حَصْرِيًّا لِلإِدْرَاجِ الفِلْسَفِيِّ، مِمَّا أَدَّى إِلَى إِقْصَاءِ أَنْمَاطٍ أُخْرَى مِنَ التَّعَقُّلِ لَا تَنْتَظِمُ فِي أَنْسَاقٍ مُغْلَقَةٍ.
2. أَظْهَرَ البَحْثُ أَنَّ الإِقْصَاءَ لَمْ يَكُنْ قِيمِيًّا بَلْ مَنْهَجِيًّا؛ أَيْ نَاتِجًا عَنْ ضِيقِ تَعْرِيفِ الفَلْسَفَةِ، لَا عَنْ فَقْرٍ فِلْسَفِيٍّ فِي النُّصُوصِ المُهَمَّشَةِ.
3. يُجَسِّدُ خِطَابُ الجاحظ نَمُوذَجَ «العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ» بوصفه مُمَارَسَةً فِلْسَفِيَّةً تَعْمَلُ فِي أُفُقِ اللُّغَةِ وَالتَّجْرِبَةِ وَالنَّقْدِ، دُونَ أَنْ تُؤَسِّسَ مَذْهَبًا مِيتَافِيزِيقِيًّا مُغْلَقًا.
4. أَدَّى تَهْمِيشُ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ إِلَى خَسَائِرَ بِنْيَوِيَّةٍ مَسَّتْ مَفْهُومَ العَقْلِ، وَقَلَّصَتِ الدَّوْرَ النَّقْدِيَّ لِلفَلْسَفَةِ، وَفَصَلَتْهَا عَنِ اللُّغَةِ وَالحَيَاةِ وَالسِّيَاقِ الِاجْتِمَاعِيِّ.
5. يَثْبُتُ أَنَّ إِعَادَ كِتَابَةِ تَارِيخِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ لَا تَتَحَقَّقُ بِإِضَافَةِ أَسْمَاءٍ فَقَطْ، بَلْ بِتَغْيِيرِ المَنْظُورِ المَنْهَجِيِّ الَّذِي تُقْرَأُ مِنْ خِلَالِهِ الفَلْسَفَةُ بِاعْتِبَارِهَا مُمَارَسَةً تَارِيخِيَّةً مُتَعَدِّدَةَ الأَشْكَالِ.

التَّوْصِيَاتُ:

1. إِعَادَةُ تَعْرِيفِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ مَنْهَجِيًّا بِوَصْفِهَا نَمَطًا مِنَ التَّفْكِيرِ وَالمُمَارَسَةِ النَّقْدِيَّةِ، لَا مَجْمُوعَةَ أَنْسَاقٍ مَذْهَبِيَّةٍ فَقَطْ.
2. اعْتِمَادُ مَقَارِبَاتٍ تَحْلِيلِيَّةٍ بَدِيلَةٍ فِي دِرَاسَةِ التُّرَاثِ، تَنْقُلُ السُّؤَالَ مِنَ التَّصْنِيفِ إِلَى تَحْلِيلِ بِنْيَةِ التَّعَقُّلِ وَآلِيَّاتِ إِنْتَاجِ المَعْنَى.
3. تَوْسِيعُ حَقْلِ الدِّرَاسَاتِ الفِلْسَفِيَّةِ لِيَشْمَلَ نُصُوصًا وَخِطَابَاتٍ أُقْصِيَتْ سَابِقًا بِسَبَبِ عَدَمِ انْتِظَامِهَا فِي أَنْسَاقٍ، مَعَ قِرَاءَتِهَا قِرَاءَةً فِلْسَفِيَّةً تَحْلِيلِيَّةً.
4. تَشْجِيعُ الأَبْحَاثِ المُقَارِنَةِ بَيْنَ نَمَاذِجَ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ فِي التُّرَاثِ الإِسْلَامِيِّ وَنَظِيرَاتِهَا فِي الفِلْسَفَةِ المُعَاصِرَةِ، خَاصَّةً فِي مَجَالَاتِ النَّقْدِ وَفَلْسَفَةِ اللُّغَةِ.
5. إِدْمَاجُ هٰذَا التَّوَجُّهِ فِي المَنَاهِجِ الجَامِعِيَّةِ لِتَدْرِيسِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، بِمَا يُسْهِمُ فِي تَكْوِينِ وَعْيٍ فِلْسَفِيٍّ نَقْدِيٍّ أَكْثَرَ تَعَدُّدًا وَانْفِتَاحًا.

قائمة المراجع:

أَوَّلًا: مَصَادِرُ النُّصُوصِ الأَصْلِيَّةِ (نُصُوصُ العَقْلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ):

1. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998.
2. الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1996.
3. رسائل الجاحظ، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1991.

ثَانِيًا: مَرَاجِعُ تَارِيخِ الفَلْسَفَةِ الإِسْلَامِيَّةِ (مَصَادِرُ المِعْيَارِ)

1. تاريخ الفلسفة في الإسلام، عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، ط.3، 1984.
2. الفلسفة الإسلامية، هنري كوربان، ترجمة نصير مروة، عويدات، بيروت، 1981.
3. الفلسفة الإسلامية: مدخل نقدي، Peter Adamson، Cambridge University Press ، 2016.

ثَالِثًا: مَرَاجِعُ نَقْدِ العَقْلِ وَالسَّرْدِيَّةِ الفِلْسَفِيَّةِ:

1. تكوين العقل العربي، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986.
2. نحن والتراث، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط.7، 2006.
3. مفهوم العقل، عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط.2، 1996.
4. إشكاليات العقل العربي، جورج طرابيشي، دار الساقي، بيروت، 1996.

رَابِعًا: مَرَاجِعُ فَلْسَفَةِ اللُّغَةِ وَالتَّعَقُّلِ غَيْرِ النَّسَقِيِّ:

1. العمل الديني وتجديد العقل، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2007.
2. روح الحداثة، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006.
3. Philosophical Investigations، Ludwig Wittgenstein، Blackwell، 1953.

خَامِسًا: دِرَاسَاتٌ عَنْ الجَاحِظ (مَرَاجِعُ تَفْسِيرٍ وَتَأْوِيلٍ):

1. الجاحظ: حياته وآثاره وفكره، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط.4، 1998.
2. الجاحظ والبيان، محمد العمري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000.

سَادِسًا: مَرَاجِعُ مَنْهَجِيَّةٌ وَتَأْرِيخُ المَعْرِفَةِ:

1. أركيولوجيا المعرفة، ميشيل فوكو، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، 1986.
2. نظام الخطاب، ميشيل فوكو، ترجمة محمد سبيلا، دار توبقال، 1987.